

## أغناطيوس كراتشوفسكي وإسهاماته في مجال الاستشراق

### الروسي

#### د. مليكة بن بوزة

#### مقدمة:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الصفحة الحوارية المشرقة التي جمعت العالم العربي - بحمولته الثقافية التي تتجلى في تراثه الروحي والأدبي والحضاري- بروسيا تلك الرقعة الجغرافية البعيدة، للوصول إلى رسم جوهر العلاقة الأدبية والثقافية التي ربطت الشرق بالغرب.

وتتجلى أهمية هذا البحث في كونه يكشف عن الوجه الآخر للحوار الإنساني بين الحضارات من خلال إبراز جهود العلامة الروسي المستشرق أغناطيوس كراتشوفسكي (١٩٥١-١٨٨٣) الذي كان النافذة التي أطل منها القارئ الروسي على كنوز الأدب العربي، والتي نظر إليها على أنها جزء من التراث الإنساني العالمي.

ويسعى هذا البحث إلى قول كلمة حق في هذا العلامة، وأن ينصف مسيرته العلمية التي روجت للأدب العربي، وأن يثمن جهوده في خدمة اللغة العربية وآدابها. فقد درس أدب العرب وتاريخهم وجغرافية بلادهم وأعلامهم وشعراءهم، كما أقام العديد من العلاقات الشخصية مع مجموعة من الكتاب والأدباء العرب.

ولقد كرس "شيخ المستشرقين" جهوده لإيصال حياة العرب الثقافية والأدبية والتاريخية والفكرية إلى أبناء وطنه من خلال:

- التدريس الجامعي للغة العربية بكلية اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرغ.

- ترجمة عيون الأدب العربي قديمه وحديثه إلى لغته الأم.

- إحياء المخطوطات العربية من خلال ترتيبها وتحقيقها وشرحها والتعليق عليها ونشرها.

وأخيراً فقد حاول هذا العلامة أن يكون همزة وصل بين روسيا والبلاد العربية من خلال أعماله التي استطاعت أن تعبر بالثقافة العربية إلى شاطئ "الأخر" بكل أمان وطمأنينة، وتساهم في الحوار البناء بين الثقافات والحضارات.

#### العلاقات الثقافية بين روسيا

#### والعالم العربي:

مما شك فيه أن عملية الترجمة تساعد في نشر ثقافة الأمم وآدابها وفكرها، فهي تعد همزة وصل مباشرة بين الشعوب، وعملية إنسانية تاريخية في التفاعل بين الحضارات. إنها تمثل حاجة وضرورة لنشر المعرفة...١، حيث تتجاوز معضلة اللغة، وتكشف شفرتها ورموزها من خلال نقل العمل الأدبي من لغته الأم إلى لغات أخرى حيث يصبح في

متناول "الأخر" ويخرج من بوتقة الهامش ليتبوأ مكانة في خارطة الأدب الإنساني، ويكون بذلك قد دخل حدود العالمية من بابها الواسع فضمن لنفسه الانتشار والاستمرارية - على مر العصور- التي تدفع الأمم إلى النهضة والارتقاء والتطور. إن العلاقات الثقافية التي تربط العالم العربي بروسيا - جارة الشرق والغرب- ليست وليدة اليوم بل تعود جذورها إلى القرن العاشر الميلادي من خلال الحجاج الروس الذين قدموا إلى

بلاد الشام لزيارة الأراضي المقدسة.٢ ثم نشطت حركة الاتصالات بين العالم العربي وروسيا وتوطدت العلاقات الثقافية من خلال عملية التجارة. فقد توجه التجار العرب إلى روسيا وذلك منذ «عصور الخلافة العربية، وقد كان القرن التاسع الميلادي هو بداية تاريخ هذه العلاقات... وكانت حركة التجارة... أحد المنافذ التي عبرت من خلالها كلمات عربية إلى اللغة الروسية»٣. ويرى معظم الدارسين أن الربع الأول

الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو فقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة»<sup>٩</sup>.

ولقد شهد القرن ١٨ بروسيا نهضة أدبية وفكرية، كما بدأ الاهتمام بالشرق وتبديس اللغة العربية والاهتمام بأدائها وثقافتها، ويكاد يتفق معظم الباحثين أن الاستشراق قد عرف ميلاده في مدينة - سان بطرسبرغ التي أصبحت فيما بعد مركزا للاستشراق في روسيا- عام ١٧٢٤ وذلك بتأسيس «أكاديمية علمية كان لها فضل الإشراف على إصدار الدوريات التي تعرّف بالشرق»<sup>١٠</sup>.

أما في عام ١٨٠٤ فصدر ميثاق الجامعات الذي «...أدرج لأول مرة وبشكل منهجي تدريس اللغات الشرقية في برنامج المدرسة العليا وخصص لها قسما خاصا»<sup>١١</sup>. كما أنشئت أول دار للطبع بالحروف العربية فعرف بذلك الاستشراق في روسيا منعطفًا جديدًا.

ولقد عرفت اللغة العربية طريقها إلى روسيا من خلال جهود بعض المستشرقين الذين ساهموا في انتشار الحرف العربي في هذه البلاد البعيدة. ومن بين هؤلاء المستشرقين - الرواد الأوائل - نذكر «باير Baier، وكير Ker الذين ظهر نشاطهما في القرن الثامن عشر، حيث ساهما في الجهود المبكرة في تدريس العربية في روسيا... لإعداد الدبلوماسيين في وزارة الشؤون الخارجية»<sup>١٢</sup>.

وتجدد الإشارة إلى أن العلماء العرب قد شاركوا أيضا في ازدهار حركة الاستشراق في روسيا خلال القرن ١٩ وذلك من خلال التدريس والتأليف

سوق الترجمة قد عرف انتعاشا ورواجا لا مثيل له. وظهرت دور نشر واسعة قامت بدور كبير في نقل الثقافة العربية إلى القارئ الروسي. ومن بين هذه الدور دار التقدم بموسكو التي حملت على عاتقها مسئولية ترجمة ونشر العديد من الأعمال الكلاسيكية الخالدة من وإلى اللغة الروسية وفي كل المجالات الأدبية كال مسرح، والنقصة، والشعر، والرواية<sup>٧</sup>.

والملاحظ أن المستشرقين الروس قد ترجموا الأدب العربي قديمه وحديثه، ولم يركزوا على عصر بعينه بل كانوا يقدمون القامات الأدبية وعيون الأدب العربي من الشنفرى إلى المتنبى مرورًا بيوسف إدريس، وغسان كنفاني، والطيب صالح... كما أنهم لم يركزوا فقط على أدباء المشرق العربي بل عرجوا أيضا، وفتحوا نافذة على أدب المغرب العربي فنقلوا إلى اللغة الروسية بعض روايات الطاهر وطار، وإبراهيم الكوني، وعبد الحميد بن هدوقة...

ولم يكتفوا بترجمة هذا الأدب بل قاموا بدراسته ونقده مثلما فعلت المستشرقة وكير بيتشينكا التي كتبت مجموعة من المقالات النقدية تناولت فيها مجموعة من أعمال الأدباء العرب<sup>٨</sup>.

### واقع اللغة العربية أيام روسيا القيصرية :

من أيسر التعريفات المقبولة "للاستشراق" حسب المفكر العربي ادوارد سعيد، فإنه «مبحث أكاديمي... فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال

من القرونوم قد عرف ميلاد الاستشراق في روسيا، عندما نشرت أول ترجمة روسية لمعاني القرآن الكريم في عهد القيصر بطرس الأكبر عام ففنف ثم توالى - في القرون اللاحقة - ترجمة ونشر العديد من الأعمال العربية القديمة كجلاء الجاحظ، ومقدمة ابن خلدون، وسيرة عنترة... أما في العصر الحديث فترجمت معظم أعمال التضم الأدبية كطه حسين، وتوفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، ومحمود تيمور، ومحمود درويش، ويوسف إدريس، وميخائيل نعيمة، وحنّا مينه... إلى اللغة الروسية<sup>٤</sup>.

ويؤكد كراتشكوفسكي نفسه في حديثه عن علاقة القارئ الروسي بالثقافة العربية أن قصص "ألف ليلة و ليلة" الساحرة كانت «أكثر الضروب الأدبية المحببة»<sup>٥</sup> حيث كانت البوابة الأدبية التي سمحت لهم بالولوج إلى عالم الشرق الساحر وثقافته، وحياته الاجتماعية.

إن الصحافة الروسية قد قامت بدور فعال في «تطوير حركة الترجمة»، وذلك من خلال ما كانت تنشره من ترجمات لعيون الأدب العربي شعره نثره، ونخص بالذكر مجلة لتلغرافات موسكو التي لعبت دورا رئيسيا في التعريف بالحضارة الشرقية وبأدبها وفنونها وأعلامها. ويعود الفضل في ذلك إلى رئيس تحريرها ببوليفوي الذي كان عاشقا للأدب العربي فعمل على تركيز مجلته على نشر الموضوعات العربية المتنوعة<sup>٦</sup>.

لقد شهد واقع الترجمة من وإلى اللغة الروسية في عهد الاتحاد السوفياتي اهتماما واسعا إذ انتشرت دور النشر والترجمة، ورغم الرقابة التي كانت تحكم قانونها على المصنفات المترجمة غير أن

Von Rosen (١٨٤٩-١٩٠٨) فعلمه أسس علوم اللغة العربية<sup>١٨</sup>.

كان كراتشكوفسكي متفوقا في دراسته الجامعية « فتخرج عام ١٩٠٥ وحصل على دبلوم من الطبقة الأولى عن رسالته " خلافة المهدي العباسي" وفقا لمصادر عربية<sup>١٩</sup>.

وعلى ما يبدو فإنه قد قرر مواصلة دراسة الأدب العربي فوضع خطة لتحقيق مشاريع أدبية وكتابة بحوث عن الأدب العربي. وكانت ثمرة هذا الاهتمام بحثا بعنوان: «الخرم في قصائد الأخطل»، ودراسة عن شعر أبي العتاهية. ولإعداد رسالة الماجستير فقد اضطر للسفر إلى المشرق العربي، فزار لبنان والتقى فيها بمجموعة من العلماء والفكرين والأدباء العرب والأجانب. تحصل على شهادة الماجستير سنة ١٩٠٧ وكان موضوع رسالته التي تقدم بها إلى لجنة المناقشة عن الشاعر: "أبو الفرج الوأواو دمشقي: دراسة لخصائص إنتاجه الشعري" تحت إشراف أستاذه روزن. ثم عين في هيئة التدريس بجامعة سان بطرسبرغ<sup>٢٠</sup>.

ويبدو أن شهيته قد تفتحت على الشعر العربي خاصة بعد أن اكتشف مجموعة من المخطوطات القديمة النادرة بالمتحف الآسيوي (التابع للأكاديمية الروسية للعلوم) في مدينة سان بطرسبرغ فقدم دراسة عن المتنبي عنوانها: «معجز أحمد».

وعاد ثانية إلى زيارة البلاد العربية عام ١٩٠٨ مندوبا عن الجمعية الأرثوذكسية لمراقبة المدارس الروسية في منطقة سوريا وفلسطين ولبنان فاستغل هذه الرحلة لتعلم اللهجات العربية، واللوج إلى عالم الشرق، والتعرف عن قرب عن عاداته

كراتشكوفسكي:

ولد شيخ المدرسة الاستعرابية الروسية إغناطيوس يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي Ignaiy Julianovic Krackovskij بمدينة فيلنا Vilna (عاصمة جمهورية ليتوانيا حاليا) أيام الإمبراطورية الروسية يوم ١٦ مارس ١٨٨٢، ثم انتقل مع والده - مدير معهد المعلمين- إلى مدينة طشقند، وتعلم فيها. وتركت الحياة - في العاصمة الفكرية للمقاطعات الإسلامية - «أثرا عميقا جدا في نفس الفتى، كان من شأنه أن يولد فيه النزعة إلى الشرق والولوع باللغات الإسلامية<sup>١٦</sup>.

ولقد كان شغوفا بقراءة الكتب فاستعان بمكتبة والده الذي كان مفتشا عاما للمدارس. فبدأت علاقته الأولى باللغة العربية عندما كان تلميذا في الثانوية عندما اطلع « في مكتبة المدرسة على كتاب "نحو اللغة العربية" تأليف سلفستري دي ساسي (بالفرنسية)، فأخذ في تعلم اللغة العربية بنفسه دون معلم<sup>١٧</sup>. وعندما التحق بجامعة سان بطرسبرغ انتسب إلى كلية اللغات الشرقية (١٩٠١-١٩٠٥) حيث عكف على دراسة اللغة العربية إلى جانب لغات شرقية أخرى كالفارسية والتركية والعبرية.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة العربية كانت اللغة الأولى المحببة إلى نفسه، فتشأت ألفة جميلة بينهما ومن خلالها عشق الأدب العربي، وتاريخ الشرق الإسلامي فتتلمذ على أيدي علماء كبار مثل المؤرخ الروسي الشهير فسيلي بارتولد Barthold Vassili (١٨٦٩-١٩٣٠) الذي أخذ عنه تاريخ الشرق الإسلامي. أما البارون فكتور روما نوفتش روزن Viktor

والترجمة ونشر الثقافة العربية ونذكر على سبيل المثال المؤرخ والفكر المصري الشيخ محمد عياد الطنطاوي (١٨١٠-١٨٦١) والذي قدم إلى روسيا عام ١٨٤٠ فاستقر فيها معلما للغة العربية في المدرسة الإمبراطورية الكبيرة، وأستاذا محاضرا للغة العربية في كلية اللغات الشرقية بجامعة سان بطرسبرغ إلى أن وافته المنية ودفن بروسيا. وقد نال عن جهوده في نشر اللغة العربية وأدائها وساما رفيعا من امبراطورية روسيا.

كما أن الكاتبة الفلسطينية أستاذة كلثوم عودة فاسيليفا (١٨٩٢-١٩٦٥) قد عاشت هي الأخرى في روسيا ودرست اللغة العربية في المعهد الشرقي بسان بطرسبرغ، كما « قامت بترجمة أعمال الأدباء العرب المعاصرين إلى الروسية، ونشرت العديد من المقالات حول التراث العربي الشعبي الفلسطيني في المجالات والصحف السوفيتية<sup>١٤</sup>، وذلك بهدف تعريف القارئ الروسي بالأدب العربي المعاصر.

ويعد إغناطيوس كراتشكوفسكي أحد مؤسسي مدرسة الاستشراق في روسيا، ومن أبرز المستشرقين الروس الذين كرسوا حياتهم لتعليم ونشر اللغة العربية بين أبناء قومه، وترجمة الأدب العربي إلى اللغة الروسية، وتحقيق المخطوطات، وكتابة العديد من الدراسات الأدبية والنقدية والمقارنة.

فمن هو هذا العلامة الذي قال عنه المستشرق السوفياتي الكبير كونغراد بأنه « تميز ... بين معاصريه من المستشرقين بأنه كان أول وأفضل من عرف آنذاك بالأدب العربي الحديث<sup>١٥</sup> العلامة الروسي إغناطيوس

الجليلة في بناء جسر ثقافي بين روسيا والبلاد العربية تقرب المسافات المعرفية من خلال جهوده في تعليم اللغة العربية وفي التأليف والنشر والترجمة من وإلى اللغة الروسية. وانطلقت شجرة هذا العلامة يوم ٢٤ يناير من عام ١٩٥١ بعد أن خلف وراءه مجلدات تضم عصارة فكره وآرائه حول الثقافة العربية التي عشقها، وأقضى زهرة شبابه في خدمة لغة الضاد وآدابها.

### جهود كراتشكوفسكي في خدمة اللغة العربية وآدابها:

يؤكد معظم النقاد أن شيخ الاستشراق الروسي، العلامة كراتشكوفسكي شخصية علمية وأكاديمية متعددة التخصصات والاهتمامات، فأبحاثه تشمل تاريخ الأدب العربي، وجغرافية البلاد العربية، والفكر الاجتماعي، وقضايا اللغة والنقد، والترجمة، والتحقيق، والتفسير، والتأليف، والتصنيف. فقد ترك لنا أكثر من أربعمئة وثمانية وخمسين مؤلفاً. لقد اهتم بأدب العرب، وتاريخهم، وجغرافيتهم، بلادهم، وأعلامهم، وشعرائهم... كما اهتم بكل العصور فترجم العديد من أعمال العصر الجاهلي، وأدب القرون الوسطى، والأدب الحديثة إلى اللغة الروسية. ويمكن تقسيم أعماله العلمية على النحو التالي:

### أ. تحقيق المخطوطات وشرحها والتعليق عليها ونشرها:

لقد انصب جل اهتمامه لتحقيق المخطوطات العربية، حيث جال في مدن عربية مختلفة كبيروت والناصره والقاهرة والإسكندرية، بحثاً عن المخطوطات النادرة يجمعها وينظمها ويحققها. وقد

جمع بينهما. فالعروف أن أحمد تيمور كان يمتلك مكتبة ضخمة وتحتوي عددا كبيرا من المخطوطات النادرة، وقد فتح أبواب هذه المكتبة لكل الباحثين والدارسين للاستفادة منها. كما راسل معظم الكتاب والنقاد في البلاد العربية وتبادل معهم الآراء - حول بعض القضايا الأدبية، ومسائل الشعر والأدب - والزيارات والكتب. ولم يكتف شيخ المستشرقين بهذه اللقاءات العلمية بل راح يرسل «عددا كبيرا من المجالات العلمية والأدبية الخاصة بالبحوث العربية والإسلامية، مثل دائرة المعارف الإسلامية»<sup>٢٢</sup>.

وعندما عاد من رحلته العلمية من المشرق العربي، عين مديرا لمكتبة اللغات الشرقية. وفي الوقت نفسه كان يقوم بتدريس اللغة العربية، ثم انتخب عضوا في أكاديمية العلوم السوفيتية، وتولى رئاسة معهد الدراسات الاستشراقية<sup>٢٤</sup>. وقد كلت جهوده فحصل على لقب أستاذ للدراسات العربية، ثم عين عام ١٩١٨ أستاذا كرسي بجامعة سان بطرسبرغ<sup>٢٥</sup>. وأخيرا فقد كرمته الأقطار العربية على جهوده المضنية في خدمة صاحبة الجلالة وآدابها على مدار ما يقارب نصف قرن من الزمن، فانتخب «عضوا عاملا ومنتسبا وشرفيا في عدد ضخم بالمجامع والجمعيات والمنظمات ومعاهد الأبحاث الأدبية واللغوية والعلمية في جميع الدول الشرقية الإسلامية تقريبا»<sup>٢٦</sup>. منها المجمع العلمي بدمشق.

كما اهتم بجمع اللغة العربية بأعماله فنشر له مجموعة من المقالات العلمية في مجلة المجمع العلمي. كما منح العديد من الأوسمة في بلده التي قدرته تميزه وأعماله

وأفكاره، ومحاولة فك شفرة خصوصياته وتجاوز ذاك العالم المخملي الساحر الذي رسمته قصص ألف ليلة وليلة<sup>٢٧</sup> في أذهان الغربيين، وكذلك الوقوف على التراث العربي الإسلامي والإطلاع على كنوزه، ويكون بذلك قد طبق مقولة الألماني غوته «الشرق لن يأتي إلينا بنفسه».

زار كراتشكوفسكي العديد من مدن «سورية ولبنان وفلسطين ومصر، وتردد على الكلية اليسوعية في بيروت، والجامع الأزهر والجامعة المصرية، والمكتبة الخديوية في القاهرة، والمكتبة الظاهرية في دمشق، والمكتبة الخالدة في القدس...»<sup>٢٨</sup>. لقد استطاع خلال هذه الرحلة العلمية التي دامت سنتين (١٩٠٨-١٩١٠) أن يطلع على كنوز الأدب العربي قديمه وحديثه، وأن يتعلم بعض اللهجات العربية كاللبنانية والمصرية، كما درس قواعد النحو العربي. وقد عبر عن ذلك صراحة بقوله: «كان يلزمني الكلام، وقد كان هذا أحد أهداف رحلتي»<sup>٢٢</sup>. كما أقام علاقات علمية وصادقات مع العديد من الكتاب والمثقفين والأدباء والصحفيين وعلماء اللغة أمثال الروائي جورج زيدان، والأديب ميخائيل نعيمة، والمعلم خليل السكاكيني، والأب لويس شيخو.

كما ارتبط بعلاقات صداقة - دامت لسنوات طويلة- مع الشاعر اللبناني أمين الريحاني، ومع محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن صداقة قوية نشأت بينه وبين العالم اللغوي المصري أحمد تيمور، وقد استمرت المراسلة بينهما إلى أن توفي تيمور سنة ١٩٢٠. وعلى ما يبدو فإن عشقهما للمخطوطات وتحقيقها هو الذي

سجلت له الريادة في اكتشاف مخطوط (المنازل والديار) لأسامة بن منقذ، والكتيب القيم المجهول (رسالة الملائكة) للشاعر والفيلسوف أبي العلاء المعري، الذي ترجمه إلى الروسية، ونشره عام ١٩٢٢ ضمن منشورات المعهد الشرقي، وقد أمضى تقريبا عشرين عاما في دراسة هذه الرسالة وهي رسالة نحوية في الإعراب. كما اعتنى بنشر كتاب (البيدع) لابن المعتز، ووضع له مقدمة، وفهارس، وعلق عليه، وترجمه إلى اللغة الروسية. ٢٧.

كما أشرف على الطبعة الأكاديمية لتلخيص "ألف ليلة وليلة"، وألف كتابا مهما بعنوان "فهرسة المخطوطات العربية الروسية" ووضعه بين أيدي الباحثين بصورة عامة والمستشرقين بصورة خاصة وذلك لمواصلة عملية التحقيق، ونفض الغبار عن كنوز الأدب العربي التي مازلت مترامية الأطراف في خزائن مكتبات روسيا.

ولقد سجل كراتشكوفسكي مساره الطويل والشاق مع المخطوطات العربية في مكتبات البلاد العربية وفي روسيا في كتابه القيم: مع المخطوطات العربية: صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر (١٩٤٩)، والذي قام بنقله إلى اللغة العربية الدكتور محمد منير مرسي الأستاذ بجامعة عين شمس بمصر. وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات أجنبية، ونال عنه جائزة الدولة سنة ١٩٥١.

#### ب. ترجمة المؤلفات العربية إلى الروسية:

إن أهم عمل جليل قام به هذا العلامة هو ترجمة القرآن الكريم إلى

اللغة الروسية. لقد صدرت أول ترجمة له في «القرن الثامن عشر بأمر من القيصر الروسي بطرس الأكبر وصدر... مترجما عن الفرنسية وأنجز الترجمة بيوتر بوسنيكوف الشخصية الثقافية المعروفة آنذاك» ٢٨. ثم صدرت ترجمات أخرى نقلت عن اللغة الفرنسية أيضا أو الانجليزية حاولت تعريف القارئ الروسي بالإسلام. إن أول ترجمة لكتاب الله عن اللغة العربية مباشرة قام بها المستشرق والرحالة كسابلوكوف سنة ١٨٩٤٢٩. وعندما اطلع كراتشكوفسكي على هذه الترجمة «وجد فيها الكثير من النواقص... حيث أن لغة الترجمة كانت مترعة بالغموض وبالأنفاظ الروسية القديمة المنسية علاوة على التعابير المسيحية المستخدمة... مما كان يحول دون إدراك المعاني بدقة...» ٢٠. ولهذا قرر أن يقدم ترجمة علمية جديدة، ولقد قضى سنوات عديدة في إتمام هذا المشروع الذي رأى النور بعد وفاته (١٩٦٣). ولقد جاءت ترجمته ذات قيمة علمية، وقد فازت بشهادة المختصين الذين حكموا عليها بأنها «الأكثر دقة من جميع التراجم» ٢١ إلى يومنا هذا. كما ترجم إلى الروسية أعمالا أدبية كثيرة نذكر منها: «كليلا ودمنة» لابن المقفع، وكتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ، و«المرأة الجديدة» لقاسم أمين، و«الأيام لطفه حسين، وديوان الوأواء الدمشقي، ومختارات من أدب الشاعر اللبناني أمين الريحاني...»

#### ج. دراسات نقدية عن الأدب

##### العربي:

درس شيخ المستشرقين أشعار نوابغ

الأدب العربي أمثال: الشنفرى، وأبي العتاهية، وأبي نواس، وأبي العلاء المعري، والبحترى، والمتنبى، والزهاوي، ومحمد مهدي الجواهري... وصنف أغراضهم. كما قدم دراسات في فقه اللغة العربية وبلاغتها. واهتم كذلك بالأدب العربي الحديث وبأعلامه فنشر في مجلات روسية أبحاثا حول عدد من الكتاب، نذكر منها: "قاسم أمين والمرأة الجديدة" (١٩١٢)، "أمين الريحاني في شعره ونثره" (١٩٢٢)، "محمود تيمور ومجموعته القصصيتين الجديدتين" (١٩٢٦)، "محمد موهدي الحكيم" (١٩٢٦)، "محمد مهدي الجواهري" (١٩٥٠). كما قدم دراسة عن "الرواية التاريخية في الأدب العربي المعاصر" (١٩١١) ٢٢.

##### د. دراسات مقارنة:

لم يكن غراتشكوفسكي محققا ومترجما فقط بل كان مقارنا أيضا إذ ركز على دراسة العلاقات الثقافية بين روسيا والبلاد العربية. ومن بين تلك الدراسات المقارنة ما يأتي:

- "التراجم العربية لأعمال تولستوي".
- "أثر أعمال تشيكوف ومكسيم جوركي في الأدب العربي المعاصر"، (١٩١٠).
- "اهتمام بيلنسكي وكير نشفسكي بالدراسات الشرقية.
- "رسائل عن تاريخ الدراسات العربية في روسيا"، (١٩٥٠) ٢٣.

كما كتب مقدمات لبعض الكتب منها: مقدمة لقاموس بارانوف العربي الروسي، وأرخ أيضا لتاريخ الاستشراق الروسي.

وأخيرا فإن هذا المستشرق قد قدم الوجه المشرق للشرق وللغة وأدبه وحضارته وكان يردد دائما في محاضراته

لقد استطاع كراتشكوفسكي أن يعبر باللغة العربية وأدائها إلى الضفة الأخرى ليتعرف عليهما القارئ الروسي. ولقد نظر إلى هذا الأدب على أنه تراث حضاري وإنساني وأنه جزء رئيسي وأساسي من التراث العالمي.

وأخيراً فإن الاتصالات الحضارية بين الشرق والغرب لم تنقطع بل ظلت مستمرة ومتواصلة، ولا يزال الحوار الثقافي قائماً بين الأنا والآخر مادام هناك علماء في وزن العلامة أغناطيوس كراتشكوفسكي يحملون في نفوسهم التقدير العميق، والاحترام الخالص للغة الضاد، وللثقافة العربية الإسلامية.

قديمه وحديثه. كما قام أيضا بعمل -لا نظير له- تمثل في ترجمة القرآن الكريم ترجمة علمية ودقيقة إلى اللغة الروسية.

لقد قدم صورة مشرقة وإيجابية "للآخر" عن الشرق وعن تاريخه ولفته. وأكد أن هذه الحضارة لا تقل مكانة عن حضارة الغرب. كما نظر إلى هذه الحضارة العريقة بنظرة حب وتقدير وإعجاب.

لقد كان موضوعيا ودقيقا وعلميا في أبحاثه ودراساته. فأسس بذلك مدرسة أكاديمية تقدر - أيما تقدير- حضارة التراث العربي الإسلامي، وسار على نهجه كثيرون منهم تلميذه: ميخائيل ترونسكي.

أن: «العرب المعاصرين قوم يمتازون بالحيوية والطموح، وأن الأيام تدخر لتضافتهم مستقبلا باهرا».

### الخاتمة :

لقد صدق "غنطوس الروسي" كما لقبه العرب عندما أطلق على نفسه "خادم العلوم العربية في البلاد الشمالية" فقد كان عاشقا للغة العربية وأدائها، ومتعطشا لكل أخبار العرب. لهذا فله فضل كبير على الاستعراب والتاريخ العربي. فقد كرس جهوده لدراسة حياة العرب الثقافية والأدبية والتاريخية، كما له الدور العظيم في ترجمة عيون الأدب العربي شعره ونثره

### قائمة المراجع:

- أحمد الشريف سمير: إغناطيوس كراتشكوفسكي شيخ المستعربين الروس (١٨٨٢-١٩٥١)، المدينة (صحيفة يومية)، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، ١٩/١٠/٢٠١١. <http://www.al.madina.com/node.232789/RttP://www.al.madina.com/node.232789> تاريخ الاطلاع: ١٢ - ١٢ - ٢٠١٥.
- بدوي عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ١، بيروت، درا العلم للملايين، ١٩٨٤.
- حبه عبد الله: معرض الشارقة ومشكلة ترجمة الأدب الروسي إلى العربية. جريدة: المدى (جريدة سياسية يومية)، ع ٣٥٢١. السبت ١٢ كانون الأول ٢٠١٥.
- سعيد ادوارد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع. ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.
- صلاح الدين أحمد: بين روسيا والعالم العربي تاريخ ممتد وحاضر باهت. أخبار الأدب، ع ١١٦٨، الأحد ٦ - ٦ - ٢٠١٥.
- الغماري مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. سلسلة: عالم المعرفة، رقم ١٥٥، مطابع الشروق (القاهرة)، الكويت، ١٩٩١.
- لانتسكي. ش.ب: الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي. مجلة: الشرق: مختارات من الثقافة السوفيتية، ع ١، أبريل، مصر، ١٩٥٧.
- محاميد عمر: مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي والمراسلات بين أغناتي كراتشكوفسكي والكتاب الفلسطينيين وغيرهم من العرب. إشراف: يحي جبر، ط١، نابلس، ٢٠١٥.
- المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)

### الهوامش:

- ١ عبد الله حبه، معرض الشارقة ومشكلة ترجمة الأدب الروسي إلى العربية.
- ٢ أحمد صلاح الدين، بين روسيا والعالم العربي تاريخ ممتد وحاضر باهت.
- ٣ مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص ٣٣.
- ٤ عبد الله حبه، مرجع سابق.
- ٥ مكارم الغمري، مرجع سابق، ص ٤٩.

- ٦ المرجع نفسه، ص ٥٦.
- ٧ أحمد صلاح الدين، مرجع سابق.
- ٨ المرجع نفسه.
- ٩ ادوارد سعيد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، ص ٤٤.
- ١٠ مكارم الغمري، مرجع سابق، ص ٢٥.
- ١١ المرجع نفسه، ص ٣٦.
- ١٢ لاتسكي، ش.ب، الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي، ص ١٢٨.
- ١٣ ياكوف كير (١٦٩٢-١٧٤٠) مستشرق ألماني دعي إلى روسيا لتدريس اللغة العربية، كما ساهم في تأسيس أكاديمية العلوم الشرقي
- ١٤ عمر محاميد: مقدمة في الأدب العربي والاستشراق الروسي والمراسلات بين أغناتي كراتشكوفسكي والكتاب الفلسطيينين وغيرهم من العرب، ص ١٦.
- ١٥ مكارم الغمري، مرجع سابق، ص ٢٧.
- ١٦ المرجع نفسه، ص ٤٢.
- ١٧ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص ٢٢١.
- ١٨ المرجع نفسه.
- ١٩ المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)
- ٢٠ عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ٢٢٢.
- ٢١ المرجع نفسه.
- ٢٢ المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)
- ٢٣ مكارم الغمري، مرجع سابق، ص ٤٢.
- ٢٤ لاتسكي، ش.ب، مرجع سابق، ص ١٢٢.
- ٢٥ المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)
- ٢٦ عبد الرحمن بدوي، مرجع سابق، ص ٢٢٤.
- ٢٧ المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)
- ٢٨ أحمد الشريف سمير: إغناطيوس كراتشكوفسكي شيخ المستعربين الروس (١٨٨٢-١٩٥١).
- ٢٩ المعرفة [www.marefa.org/index.php](http://www.marefa.org/index.php)
- ٣٠ المرجع نفسه.
- ٣١ المرجع نفسه.
- ٣٢ المرجع نفسه.
- ٣٣ المرجع نفسه.
- ٣٤ لاتسكي، ش.ب، ص ١٢١.
- ٣٥ المرجع نفسه، ص ١٢٠.